

الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين . إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين وأخرجوكم من دياركم وظاعروا على إخراجكم أن تولوهم ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون . .

هذا هو دور الدين في تنظيم علاقات المسلمين بعضهم ببعض داخل المجتمع الإسلامي ، وعلاقة المسلمين باخوتهم في الإنسانية في المجتمع الدولي سلمياً و حرباً ، فهو السلك الذي تنتظم فيه حبات العقد الإجتماعي .

## دور العلم في الحياة

أما العلم فهو الذي يصقل حبات العقد ويصونها ، والعلم يوفر للإنسان حاجاته الحسية ومتطلباته المادية من مأكل ومشرب وملبس ومسكن ونحو ذلك ، كما أنه يصنع للناس طرق الاتصال سلمياً وحرباً ووسائل السفر والانتقال وسلاح الحرب . والدين يجعل قلوب الناس تتصافى ونفوسهم تتآلف وأرواحهم تتعاق وأجسامهم تتلاقى وأيديهم تتصافح وتبادل التحية والسلام وعقولهم تتجادل بالتي هي أحسن وتتفاهم وتتعارف كما قال الله تعالى : « يأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا . إن أكرمكم عند الله أتقاكم » .

والعلم يصنع العملة الورقية والمعدنية التي يستعملها الناس في التجارة والبيع والشراء . أما الدين فإنه يوجه الإنسان الوجهة السليمة الخيرة في التصرف بالمال وانفاقه ، فيستخدمه بتوجيه الدين ورعايته في الخير والإصلاح والإحياء والبناء والتعمير لا في الشر والافساد والقتل والهدم والتخريب ، كما أنه يبعد عنه شر الطمع ومعرفة كنز المال والشح به ويعلمه الاعتدال في انفاقه فلا يكون مبذراً متلافاً ولا مقترراً شحيحاً عملاً بقوله تعالى : والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم . وقال جل شأنه : « ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون » وقال عز وجل : « والذين إذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواماً » . وقال جل وعلا : « ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوماً محسوراً » .

والدين يرشد الإنسان إلى أن المال الذي تحت يده إنما هو في الحقيقة والواقع مال الله وهو وديعة عنده ولا بد يوماً أن ترد الوديعة إلى صاحبها الحقيقي كما قال الله تعالى : « أنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه » . وقال عز وجل : « وآتوهم من مال الله الذي آتاكم » .

وقد جعل الإسلام الحنيف زكاة المال من أركانه الخمسة لتطهير النفس البشرية من داء الشح بالمال والطمع فيه . وقفة الإيمان الصادق

الشفاء من هذا الداء الويل الذى طالما فتك بالناس ودفع إلى ارتكاب الجرائم والشُرور والمحرمات وما أصدق الشاعر الذى قال :

والناس عند الذهب اللماع      شر من الحيات والسباع  
والدين يجعل الإنسان يضحي      بالمال فى سبيل الشرف والدين  
والعلم والحياة الحرة الكريمة      ولا يبيع شرفه ودينه ووطنه بالمال  
والذهب وإذا ما حاول أحد أن يسارمه      على شرفه أو دينه أو وطنه  
أو حريته انتفض قائلاً له :

أصون عرضي بهال لا أدنسه      لا بارك الله بعد العرض بالمال  
احتمال للمال إن أودى فأكسبه      ولست للعرض إن أودى بمحتال

\* \* \*

وبقوى العلم وطاافته يستصلح الإنسان الأرض ويزرعها  
ويحصد غلة ما زرع من نبات ويحني ثمار ما غرس من شجر ، والدين  
الساوى يستصلح نفس الإنسان ويزرع فيها بذور الخير والفضيلة .  
وإصلاح النفس واستنباتها أصعب وأشق من إصلاح الأرض  
واستثمارها . ولا تطيب الحياة ولا تعمر الأرض إلا فى ظلال  
النفوس الطيبة الخيرة العامرة بمعانى الخير والحق والجمال والمشرقة  
بنور العلم والإيمان .

وهكذا يكون العلم جسم الحياة الانسانية بلحمه وعظمه  
ودمه والدين روحها وضميرها وخلقتها . والحياة بلا روح ولا ضمير  
ولا خلق تعنى الحيوانية والوحشية والهمجية .

ولم لا والانسان فى حقيقته وواقعه جسم وروح وعقل ، فلا  
يكون الانسان بالروح وحدها ولا بالجسم وحده بل بالاثنتين معاً .  
والبدن وعاء الروح ، وكما أن السائل ينصب على الأرض إذا انكسر  
وعاءه وتحطم كذلك تخرج الروح من البدن إذا تحطم وتهشم ،  
وايكنها تخرج إلى السماء لا إلى الأرض . والروح تحرك الجسم  
وتسيره والعقل يوجهه ، وإذا علت الروح وسما العقل علا الجسم  
معهما وسما ، وإن سقطا وانحطا سقط وانحط .

وللجسم والروح والعقل مطالب وحاجات ، فالجسم يحتاج  
إلى أكل وشرب ولبس وسكن وعلاج ودواء ووسائل سفر  
ومواصلات وأدوات تهذيب وتجميل وتنظيف وما إلى ذلك من  
حاجات الحياة ومطالباتها المادية المعيشية .

والنفس أيضاً تحتاج إلى تغذية وتهذيب وتنظيف ولباس  
وتجميل وتزيين بالفن الرفيع والأدب السامى ومكارم الأخلاق  
وتقوى الله . كما أن العقل يلزمه صقل وتنقيف وهداية وتنوير  
بالعلم النافع والحكمة الهادية والفكر المضى .

والعلم وحده بشتى فروعه وألوانه يوفر للجسم جميع مطالبه وحاجاته المعيشية المادية الضرورية منها والكألية . وتجد الروح حاجاتها المتنوعة فى الأديان السماوية النقية وسائر ألوان الفنون والآداب والثقافة الإنسانية الرفيعة السامية .

فالأديان السماوية الصافية والثقافة الإنسانية البناءة تصل الإنسان بالله تعالى خالقه وتعمر قلبه بالإيمان به ، وتبعث فيه ضميره الحى ونزعتة الإنسانية وتغرس فى نفسه الخير والفضيلة ، وتطهر صدره من نوازع الشر والأذى والرذيلة وتعلمه مكارم الأخلاق ، ولا شىء يجعل سلوك المرء مستقيماً طيباً وأخلاقه كريمة وأعماله صالحة خيرة كالإيمان بالله وتقوى الله تعالى . والإنسان الذى يؤمن بالله ويتقيه لا يقول ولا يفعل إلا خيراً ولا يأخذ ولا يعطى إلا طيباً ، ويستخدم ما تحت يده من قوى العلم وطاقاته فى الخير والاصلاح والتعمير والبناء بدلاً من استعمالها فى الشر والفساد والهدم والتخريب .

أما الشخص الذى لا يعرف الله ولا يتقيه ولا يتحلى بالقيم الأخلاقية والمبادئ الإنسانية فتراه لا يسمو على الحيوان فى أفعاله وتصرفاته ولا يحلم ولا يحرم ولا يتورع عن اقتراف المحرمات والمنكرات ويستعمل ما فى حوزته من قوى العلم وطاقاته فى القتل والشر والهدم بدلاً من استعمالها فى الاحياء والشر والهدم والحياة

لا تصير جميلة طيبة ولا تكون صافية آمنة إلا بالمؤمنين الأبرار  
ولا يعكر صفوها ولا يحرم الناس من نعمة الأمن والسلام  
إلا الذين لا يعرفون الله ولا يتقونه . والحياة بلا إيم - ان بالله  
وبلا أخلاق وآداب وبلا مبادئ إنسانية تصير جحima لا يلاق .  
ويبدل على ذلك ما عاناه العالم فى الماضى ويعانيه فى الحاضر من  
ويلات الحروب العدوانية الاستعمارية ومن مآس وجرائم ومظالم  
على أيدى ناس لم يعرفوا الله ولم يتقوه ، وتنكروا لمبادئ الحق  
والعدل والإنسانية والقيم الأخلاقية . والعالم اليوم يؤرقه ويقض  
مضجعه شبح حرب ذرية هيدروجينية تحمل فى بطنها نهاية العالم  
وانتحار الجنس البشرى ، وإذا ما قدر لها أن تقع فلن يثورها  
إلا المستعمرون الذين لا يعرفون الله ولا يؤمنون بالفضائل  
الإنسانية والأخلاق السكرمة ومبادئ الحق والعدل . وواضح أن  
الأديان السماوية الحقة والعلوم الإنسانية هى المصدر الوحيد  
المتجدد للإيمان بالله والفضائل والأخلاق والآداب ، والعلم يعالج  
الآجسام المريضة العلية ويداويها بينما الدين يعالج النفوس العلية  
ويشفيها مما يصيبها من أمراض وعقد نفسية وقلق واضطراب  
واهتزاز إزاء أحداث الزمان ونوائب الدهر وصدامت الحياة  
ويضفى عليها جواً مشبعاً بالراحة النفسية والصفاء الذهنى والسكينة  
القلبية ويضى جنباتها بنور الأمل والتفاؤل كما قال الله تعالى :

« ونزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة » .

فالمؤمن بالله حقاً يؤمن بالقضاء والقدر خيره وشره ويواجه الحياة بخيرها وشرها وحلوها ومرها راضى النفس مرتاح البال رابط الجأش والنهى فمر معتصم بقوله تعالى : « قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا » . وإذا ما أصيب بخسارة أو ضاعت منه فرصة ثمينة لم يتداوله القلق والندم لأنه متحصن بقوله عز وجل : « الذين إذا أصابهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون » وبقوله جل شأنه : « فحسب أن تسكرها شيطاناً ويجعل الله فيه خيراً كثيراً » . وقوله عليه الصلاة والسلام : استعن بالله ولا تعجز وإن أصابك شيء فلا تقل لو أنى فعلت كذا وكذا ولكن قل قدر الله وما شاء فعل فإن لو تفتح عمل الشيطان » .

والعلم يحارب الآفات والأوبئة والأمراض التى تصيب الإنسان والحيوان والنبات ولكن الدين يحارب الأمراض الخلقية والنفسية والآفات الاجتماعية ، وكثير من الأمراض الجسمية من مضاعفات الأمراض النفسية والخلقية .

والعلم يصنع المراتب التى ينظف بها الجسم والملبس والمأكل والمشرب والمسكن ونحو ذلك ، والدين يتولى تنظيف العقول والقلوب وطهارة النفوس من خواطر السوء ونوازع الشر مع العلم

بأن طهارة الشكل والمظهر من طهارة الروح والجوهر ونظافة اليد  
من نظافة العقل والنفس .

والعلم يقدم للناس المسجد ومكبر الصوت أما الدين فإنه يقدم  
لهم الكلمة الطيبة والموعظة الحسنة والحكمة السامية المضيئة  
والخطبة البليغة الهادية . والعلم يصنع سلاح الحديد والفولاذ  
وينعش الجسم وينشطه أما الدين فإنه يزود المجاهد بسلاح العقيدة  
والإيمان وينعش النفس وينشط الروح ، وسلاح الحديد لا يصير  
فعالا مدمرا ما لم تحارب به أيدي مؤمنة . وقرّة الجسم وحيويته  
من قوة الروح وحيويتها ، والرجال أولا والسلاح ثانياً .  
وما أصدق شاعرنا بشارة الخورى في قوله هذا :

قوة الروح والعقيدة جيش من لبيب وقائد من صواب  
حققت قوة الجسوم وأزرت بالسرايا وعسكرت في الروابي  
والعلم يصنع سياج الأبدان والأجسام والدين يقدم سياج  
النفوس والأرواح ولا يحمي الإنسان سياج جسمه إذا سقط  
سياج نفسه وروحه ، وسياج الجسم من الحديد أو القماش وسياج  
النفس والروح من الأخلاق والآداب ، وسياج النفس والروح خير  
وأبقى من سياج الجسم كما قال شاعرنا بشارة الخورى :

كم سياج من الحديد تعفى وسياج باق من الآداب

والدين يشرب الإنسان مبادئ الحق والعدل والأخاء  
والمساواة والحرية والأخوة الإنسانية فقد قال الله تعالى : « يَا أَيُّهَا  
النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ  
لِتَعَارَفُوا إِنْ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ » . وقال رسول الله محمد  
ﷺ : « كُلُّكُمْ لَأَدَمٍ وَأَدَمٌ مِنْ تَرَابٍ لَا فَضْلَ لِعَرَبِيٍّ عَلَى أَعْجَمِيٍّ  
إِلَّا بِالتَّقْوَى » .

والدين يزن الناس بميزان العلم والإيمان والتقوى والأخلاق  
وفعل الخير كما قال الله تعالى : « قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ  
لَا يَعْلَمُونَ » وقال : « يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا  
الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ » وقال رسول الله محمد عليه أفضل الصلاة والسلام :  
« خَيْرُ النَّاسِ أَنْفَعُهُمْ لِلنَّاسِ » .

والدين يقيم تعادلاً وتوازناً بين الروح والمادة لأن الإنسان  
لا يمكنه أن يعيش بالروح وحدها ولا بالمادة وحدها بل بهما  
معاً كما أنه يعيش بالماء والطعام ولا يعيش بواحد منهما ، والويل  
له من طغيان المادة على حياته وسلوكه . ففي التوازن والتعادل بين  
القيم الروحية والمادية إيمنه وسلامه وسعادته وحياته الحرة  
السكرينة .

والدين يجعل الإنسان يحسن استخدام العلم بقواه وطاقاته  
الجبارة الهائلة لأن العلم سلاح ذو حدين فإن تولاه طيبون صالحون  
أبرار أحسنوا استعماله ونفعوا به الناس وإن تولاه أشرار لئام  
أساءوا استخدامه واستعملوه في الشر والتدمير والحرب بدلا من  
استعماله في الخير والتعمير والسلام .

والدين يحث على طلب العلم والعلم يدل على الدين ، ولا تتجلى  
حقيقة الدين إلا في ضوء العلم كما أن العلم لا يشمر ثمارا طيبة حلوة  
ما لم ينبت في أرض الإيمان والتقوى .

قال تعالى : « اقرأ وربك الأكرم الذى علم بالقلم علم الإنسان  
ما لم يعلم » وقال رسول الله محمد عليه الصلاة والسلام : « تعلموا  
العلم فيه يعرف الحلال من الحرام . وهو الدليل على الدين » .

\* \* \*

وغيرى ما تقدم أن الحياة الإنسانية شطران متكاملان روحى  
ومادى وأن الإنسان جسم وعقل وروح ، والإنسان تحرّك روحه  
وتسيره على ضوء عقله وتفكيره . وهنا يتعاون الدين والعلم  
فى صنع الحياة الإنسانية الطيبة وبناء الإنسان الخير الطيب المثمر  
الذى يبني ويعمر ويشمر ويضيء ويتمتع بالصحة والعافية والحيوية  
جسما ونفسا وعقلا .

والدين يتولى تهذيب النفس وتجميلها وإلباسها بالباسائق

والحق والخير والجمال وإشرابها مكارم الأخلاق والآداب العالية  
والفضائل السامية والسمو بالروح فوق أحوال الغرائز الحيوانية  
ومستنقعات الشهوات البهيمية والأهواء النفسية كما أنه يشفى  
النفس من أمراضها النفسية من حسد ولؤم وجشع وأنانية وغرور  
وبطر وغطرسة ونزعة عدوانية ويأس وخمول وانحطاط وما إلى  
ذلك . ويعمل كذلك على إحاطتها بجو هادئ نقي لا تعكره  
ولا تشوبه توترات عصبية وتشنجات انفعالية ، وما أكثر  
الأمراض الجسمية التي تتولد عن الأمراض النفسية .

والدين يحفز أيضا إلى الكشف عما يمكن في الإنسان من  
مواهب وعبقريات ونبوغ في العلم والأدب والفن والفكر ويحث  
على استثمارها في الخير والحق للبشر جميعاً وينير العقول بأنوار  
الحكمة والعلم والإيمان ويوجهها إلى التأمل والتفكير والإبداع  
والابتكار لتدرك كنه الحياة وتعرف سر الوجود وحقيقة  
الإنسان وتتهدى إلى طريق الخير والحق والسعادة ولتستخدم  
قوى العلم وطاقاته الجبارة ومخترعاته العجيبة في الخير والبناء والسلام  
لا في الشر ولهدم والحرب . فالنار نافعة وضارة فهي تنفع إذا أحسن  
استخدامها وتضر وتحرق إذا أسئ استعمالها . والماء كذلك يحيي  
إذا استعمل في الشرب والسقي ويميت إذا استعمل في الإغراق  
والإتلاف . والطاقة الذرية تصلح للسلم والخير والحياة إذا استغلت

في هذا المجال وتدمر وتبيد إذا استعملت في الحرب والموت .

ولم لا نقول إن الإنسان نفسه يصير خيراً أو شراً إذا تربى  
تربية إنسانية فاضلة وأعد إعداداً حسناً ويصير شريراً أو ذليلاً إذا  
أسىء تربيته وإعداداه .

ولا شك في أن الدين السماوي الحق يربى الإنسان تربية  
إنسانية كريمة ويضعه في طريق الخير والحق والجمال ويجعله  
يستخدم قوى العلم وطاقاته الهائلة في الخير والعمران والحياة بدلا  
من استعمالها في الشر والتخريب والموت .

والدين كذلك لم يغفل أمر الجسم فقد دعا إلى نظافته وزينته  
وجماله فالنظافة تجلب الصحة والعافية والقذارة تلد المرض والسقام،  
وفي الزينة والجمال متعة للبصر والبصيرة وراحة نفسية وجاذبية .  
وفي ذلك قال رسول الله محمد ﷺ : « الطهور شطر الإيمان » .  
وقال أيضاً : « إن الله جميل يحب الجمال نظيف يحب النظافة فتنظفوا  
بيوتكم وأفئنتكم » . ويقول الله تعالى : « قل من حرم زينة الله التي  
أخرج لعباده والطيبات من الرزق » . ويقول عز وجل : « يا بني آدم  
خذوا زينتكم عند كل مسجد » .

ودعا رسول الله عليه السلام إلى معالجة الأجسام من أوضاعها  
فقال : « أيها الناس تداووا . إن الله ما وضع داء إلا جعل  
له شفاء » .

ولا ريب في أن النفس تتأثر بنظافة الجسم وجماله وصحته وعافيته كما أن الجسم يتأثر بجمال النفس وطهارتها وصحتها وحيويتها .  
أما العلم فإنه يتولى رعاية الجسم ومداواته من أمراضه وتوفير ما يحتاج إليه من ملبس ومسكن ومأكل ومشرب وسائر حاجاته المعيشية ويوفر أيضاً ما يلزم من مواد الزينة والتجميل والتنظيف للأكل والشرب واللباس والسكن . وهكذا يعالج العلم جسم الإنسان ويعالج الدين نفسه وروحه فالدين طب نفس وعلم نفس .  
والعلم يقدم للإنسان القوانين والأنظمة الوضعية والدين يقدم له قوانين الحياة الطبيعية ألا وهي الأخلاق السامية والآداب العالية ومن لا يحترم القوانين الطبيعية ولا يتحلى بمكارم الأخلاق لا يحترم القوانين الوضعية والأنظمة البشرية ، فذو الخلق الكريم والذوق الرفيع ينهأ خالقه وذوقه عن الشر والأذى وعن الخروج عن طريق القانون والنظام سراً وإعلاناً . أما الشخص الذي ينقصه الخلق والضمير فلا يسير في طريق القانون والنظام إلا وعيون الرقابة والعقوبة مفتحة عليه وعصا الساطة فوق رأسه وشتان بين الإثنين .

والدين يبعث في نفس الإنسان الضمير الحى ويملأ قلبه بتقوى الله وينير عقله بنور الإيمان وبذلك يعلو الحق ويسود وينتصب

ميزان العدل ويزدهر الخير ويضمحل الشر . فتقوى الله توحى  
للقاضى بالعدل والإنصاف فى أحكامه وقراراته فإذا ما خلا من  
تقوى الله وافتقد الضمير الحى تلاعب بالقانون وفق الهوى  
والمصلحة الذاتية وحاد عن طريق الحق والإنصاف ، وليس أدل  
على ذلك من تعطيل قوانين الأمم المتحدة وتجميد قراراتها التى تنص  
على حق الإنسان فى الحياة الحرة الكريمة ، لأن المسيطرين على  
الهيئة الدولية من الدول الكبرى القوية لا يعرفون إلى الإيمان  
وتقوى الله سبيلا وتسيرهم المطامع الدنيوية والمصالح الشخصية  
والنزعات الانانية ، هذا وإصدار القوانين العادلة والقرارات  
المنصفة مصدره أولو الألباب الحكمة والضمائر الحية والإيمان  
الصادق ، على أن القوانين المنصفة لا ترى النور ولا توثق أكلامها  
إلا بشخصيات واعية مستنيرة ومؤمنة نزيهة ، وكمن قوانين  
تعطل ودساتير تجمد وتحرف وتلاعب بها وفق الهوى والغرض  
لافتقارها إلى مشرلين يعرفون الله ويتقونه .

وهكذا الإسلام الحنيف يطهر الإنسان من أدران الفساد  
والانحراف ويغسل دماغه ونفسه وقلبه بماء الإيمان والتقوى  
ومكارم الأخلاق فيخرج إنساناً صالحاً فاضلاً مشمراً يعرف نفسه  
وربه وينصف ذاته وغيره ولا يقول ولا يفعل إلا خيراً ولا يأخذ  
ولا يعطى إلا طيباً كما قال رسول الله محمد ﷺ : « المؤمن كالنحلة  
لا يأخذ إلا طيباً ولا يعطى إلا طيباً » .

ففي ميدان التجارة يقدم العلم للناس لوازم المعيشة ومتطلباتها المتنوعة . وهنا يتدخل الدين لتنظيم المعاملات التجارية بين الناس ووضع قواعد أخلاقية وأصول سليمة للبيع والشراء تقوم على الصدق والأمانة والسماحة والنصح والتجرد من الجشع والاستغلال والاحتكار . فآله سبحانه وتعالى يتوعد الذين ينقصون الكيل والميزان والقياس بقوله : « ويل للمطففين الذين إذا اكْتَنَوا على الناس يستوفون وإذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون » .

والإسلام الحنيف يبرأ من المسلم الذي يغش في تعامله مع الناس كما قال رسول الله محمد ﷺ : « من غشنا فليس منا » ، ويحث الرسول عليه الصلاة والسلام على السماحة في البيع والشراء فيقول : « رحم الله رجلاً سمحاً إذا باع وإذا اشترى وإذا اقتضى » والمحتكر المستغل ملعون في الإسلام كما يقول الرسول محمد صلوات الله وسلامه عليه : « المحتكر ملعون » وقال أيضاً : « بئس العبد المحتكر إن سمع برخص ساءه وإن سمع بغلاء فرح » .

وينهى كذلك رسول الله عن التناجش في البيع والشراء فيقول : « لا تحاسدوا ولا تناجشوا ولا تباغضوا ولا تقادبروا ولا يبيع بعضهم على بيع بعض وكونوا عباد الله إخواناً » .

والمعاملة الطيبة الحسنة روح الإسلام والإيمان كما يقول  
رسول الله محمد ﷺ : « الدين المعاملة » .

\* \* \*

وبزراعة النبات وغرس الشجر تخضر الأرض وتزدان الدنيا  
ويلطف الجو ويأكل الإنسان والحيوان والطيور ، وعلى النبات  
والشجر تقوم صناعة الملابس والخشب . والدين يحث الإنسان  
على الزرع والغرس ويعدّه بالثواب الجزيل إذا فعل ذلك كما يقول  
رسول الله محمد ﷺ : « ما من مسلم يغرس غرساً أو يزرع زرعاً  
فيأكل منه طير أو إنسان أو بهيمة إلا كان له به صدقة » .

كما أن الإسلام ينهى الإنسان عن إتلاف الزرع وإحراق الشجر  
واحتسار الثمر . أما العلم فإنه يقدم الإنسان آلات الزراعة  
والغرس والحصاد وجنى الثمر والأدوية التي يقاوم بها الآفات  
والأمراض التي تصيب الشجر والنبات ، والمصانع التي يصنع بها  
المنتجات الزراعية .

والإسلام الحنيف يجعل الناس جميعاً يتقاسمون فيما بينهم  
الثروات العامة وخيرات الوطن كل بقدر جهده وطاقته وخدمته ،  
ويحرم أن تستأثر بها فئة قليلة معينة وحدها دون سائر الناس  
انطلاقاً من قوله تعالى : « إنما المؤمنون إخوة » وفي ذلك يقول

رسول الله عليه أفضل الصلاة والسلام : د الناس شركاء في ثلاثة :  
د الماء والسكلأ والركاز . أما العلم فإنه يقدم الآلات والأدوات  
والأجهزة التي تستخرج بها هذه الثروات والخيرات الباطنية  
والظاهرية ووسائل نقلها وحملها .

والعلم يكشف ما في السكون من قوى وطاقات كالسكرام  
والبخار والذرة ، والدين يدعو إلى استغلالها في ميدان الخير  
والبناء والسلم لا في مجال الشر والهدم والحرب . والدين يوجه  
السلاح الذي يصنعه العلم إلى أغراض الدفاع عن النفس ورد  
العدوان وإحقاق الحق وإقامة العدل وبناء السلم القائم على العدل  
والحق .

والدين يثبت في نفوس البشر جميعاً روح التعارف والتفاهم  
والتسامح والتآخي والتعايش السلمي كما قال الله تعالى : « يأيها الناس  
إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا  
إن أكرمكم عند الله أتقاكم » .

وبذلك تهدم الحواجز النفسية والعنصرية والطبقية بين  
البشر جميعاً .

كما أنه يضع للناس المقياس السماوي السام للتفاضل بين الناس  
في الدنيا والآخرة ألا وهو العلم والإيمان والتقوى والخلق الكريم :

قال تعالى : « إن أكرمكم عند الله أتقاكم » وقال جل شأنه : « قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون » . وقال عز وجل : « يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات » . وقال رسول الله محمد ﷺ : « أحب عباد الله إلى الله أحسنهم خلقاً » .

والعلم يقيم للعمال المعامل والمشاغل التي يعملون فيها . أما الدين فإنه يحث العمال على إتقان العمل والإخلاص في الشغل كما قال رسول الله محمد ﷺ : « إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه » ، كما يحث أرباب العمل على إعطاء العمال أجوراً مجزية إذ يقول ﷺ : « أعطوا الأجير حقه قبل أن يجف عرقه » . والعلم يضع شكل الحكم وهيكل الدولة المتمثل في الأنظمة والقوانين والتشريعات ، أما الدين فإنه الروح والجوهر والضمير والخلق ولا حياة للجسم إلا بالروح ولا قيمة للمظهر إلا بالجوهر . وروح الدولة حرية القول والعمل والديمقراطية والشورى والعدالة الاجتماعية والمساواة وتكافؤ الفرص وازدهار مكارم الأخلاق والفضائل السامية من صدق وأمانة ونزاهة وإخلاص وتضحية وإيثار ووضع المصلحة العامة فوق المصلحة الخاصة وما إلى ذلك .

وقد علمتنا الحياة أن التقدم الأخلاقي هو المنطلق إلى التقدم في

نواحي الحياة الأخرى ، والرقى الأدبي أساس الرقى العلمي  
وأنه لا طعم للحياة ولا معنى للوجود ولا حياة حرة كريئة ولا عدل  
ولا أمن ولا سلام ولا سعادة إلا بازدهار الفضائل والأخلاق  
التي هي جوهر رسالة الأديان السماوية كما قال رسول الله محمد عليه  
الصلاة والسلام : « إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق » .

وقد أدرك هذه الحكمة أحمد شرقى فقال :

وإنما الأمم الأخلاق ما بقيت      فإن همو ذهبت أخلاقهم ذهبوا  
وقال أيضاً :

وليس بعامر بنيان قوم      إذا أخلافهم كانت خرابا

\* \* \*

والتواب المجزى في الدنيا والآخرة يغرى بالصدق والإخلاص  
في السعى وإتقان العمل وبذل قصارى الجهد والطاقة في الانتاج  
والبناء ، لذلك وعد الله تعالى المؤمنين العاملين المتتبعين بأجر  
الأجر والتواب على إخلاصهم في سعيهم وإتقانهم أعمالهم إذ قال  
جل شأنه : « فاستجاب لهم ربهم أنى لا أضيع عمل عامل منكم من  
ذكر أو أنثى بعضهم من بعض » .

وفي العقاب والقصاص سيادة الحق والعدل وازدهار الأمن

والسلام وتقويم الانحراف وتصحيح الاعوجاج وتوخى الصحة  
والعافية والسلامة للفرد والمجتمع كما قال الله تعالى : « واسكن في  
القصاص حياة يا أولى الألباب » .

وهكذا يأمر الدين بالشواب المرضى والعقاب الرادع لنظل  
الشجرة مورقة مثمرة والبناء سليماً متيناً والجسم صحيحاً معافى .  
فالقصاص للمجتمع كتنقيح الشجر وترميم البناء وصيانته وكالعلاج  
والوقاية للجسم .

أما دور العلم في الشواب والعقاب فإنه يقدم المكافآت المادية  
الحسية التي تعطى للعاملين المخلصين كما يقدم الوسائل والأدوات  
التي ينفذ بها العقاب .

\* \* \*

والناظر في الاسلام الخفيف دين الله تعالى والدين الذي يجب  
على كل إنسان أن يعتنقه كما قال عز وجل : « ومن يبتغ غير الاسلام  
ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين » يتبين له أنه دين  
يصلح لكل زمان ومكان ويناسب البشر جميعاً لذلك أنزله الله  
تعالى للناس كافة في كل عصر وبيئة كما قال تبارك وتعالى :  
« وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيراً ونذيراً ولكن أكثر الناس  
لا يعلمون » .

وهو دين يقوم على العقل والمنطق والعلم كما قال رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم : « المعرفة رأسها إلى والعقل أصل ديني » ويخاطب الوجدان والضمير ويجمع بين الروح والمادة ويماشي الزمان ويرعى ركب الحياة المتطور المتجدد على توالى السنين ومر العصور . ويدل على ذلك احتكامه إلى العقل والمنطق وفتح باب الاجتهاد والتجديد والابتكار في أمور الحياة الدنيا وفيما يتعلق بأساليب الحياة ووسائلها وأدواتها وفيما يمس متطلبات العيش والأشياء المادية وفيما يستجد من أشياء وظواهر حيائية فهذه الأمور والأشياء تتناولها يد التطور والتغيير . والاسلام يضع خطوطاً أساسية وقواعد عامة لحياة الانسان ومسلكه . أما التفصيلات والتفرعات فهي التي ينالها العلم بالتطور والتجديد كما تنال مظاهر الحياة وأشكالها ووسائلها وأدواتها . أما الروح والجوهر فلا يمسها تغيير ولا تبديل .

وكذلك أمور الدين من عبادات وتشريعات وقواعد في العقوبات والمعاملات والميراث والزواج تبقى خالدة كما جاءت من عند الله تعالى فهي صالحة بنصها وروحها ولفظها ومعناها لكل زمان ومكان .

ومن أمور الدنيا التي يعنىها حديث الرسول الكريم طرق

المعيشة والأوضاع الاقتصادية والمعاملات التجارية . فالإسلام الخفيف يرسم صورة لنظام اقتصادى لا جشع فيه ولا استغلال ولا احتكار ويخلو من الكسب الحرام كالرشوة والربا والسرقه والنهب ، ولا تستأثر فيه فئة قليلة بمعظم ثروات الوطن وخيراته وأراضيه على الأغلبية الساحقة من الشعب ، ولا تكون فيه جماعة معينة تعيش فى القصور والأبراج العاجية تنفخها البطنة والتخمة وأكثر الناس يسكنون الأكواخ والخيام وينامون فى المقابر يلفحهم حر الصيف ويقرصهم برد الشتاء ويتضورون جوعاً وعطشاً .

فالمسلمون المؤمنون إخوة يتراحمون ويتقاسمون لقمة العيش وخيرات الوطن وثرواته . فالوطن شركة اجتماعية والمواطنون أعضاء مساهمون فيها كل بقدر جهده وطاقته وخدمته لأمتة ووطنه والمجتمع أسرة واحدة كبرى والمواطنون أفرادها . وفى ذلك يقول رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم : « مثل المؤمنين فى توادهم وتراحهم كمثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى » .

ويحرم الإسلام الخفيف الاحتكار لما يتضمنه من استغلال وحرمان وكسب محرم ، قال رسول الله محمد عليه الصلاة والسلام :

والمحتكر ملعون ، كما أنه يحظر تكديس الأموال والثروات في أيدي الأغنياء الرأسماليين كما قال الله تعالى : « كي لا يكون دولة بين الأغنياء منكم » .

وحرم الإسلام الحنيف الربا والسرقة والرشوة ، لأنها استغلال وعدوان وكسب غير مشروع ، قال الله تعالى : « أحل الله البيع وحرم الربا » ، وقال جل شأنه : « والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاء بما كسبا نكالا من الله والله عزيز حكيم » ، وقال رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم : « لعن الله الراشئ والمرتشئ » .

والإسلام الحنيف يريد نظاماً اجتماعياً يقوم على العدالة الاجتماعية وتكافؤ الفرص والمساواة والاخاء والتكافل الاجتماعى ، يتفاخر فيه الناس بأعمالهم وأخلاقهم وعقولهم لا بأحسابهم وأنسابهم ولا بأموالهم وأشكالهم ومقياس التفاضل فيه العلم والتقوى ومكارم الأخلاق وليس المال والجاه والحسب كما يقول الله تعالى : « إن أكرمكم عند الله أتقاكم » ، وقوله عز وجل : « قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون » . وكما يقول رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم : « من أبطأ به عمله لم يسرع به نسبه » . ويقول الله تعالى : « وما يستوى الأعمى والبصير ولا الظلمات ولا النور » . ويقصد بالأعمى هنا أعمى العقل والبصيرة لا أعمى البصر والنظر .

والإسلام الخفيف يبين لنا روح الحكم الشعبي الصالح والسياسة الرشيدة الخيرة وقوامها الشورى وحرية الكلمة والحركة والمساواة وتكافؤ الفرص وأن يقوم نظام الحكم على رغبة الشعب وإرادته ويسير بأمر الشعب ومشيئته ، وأن لا يكون هناك احتكار لرئاسة الدولة وقمة السلطة والمسؤولية فلا تسكون وقفاً على فئة معينة بل يكون طريق الوصول إليها مفتوحاً لكل مواطن صالح كفء عقلاً وعلماً وخلقاً ودينياً . فالحكم مصلحة عامة وملك عام للشعب كله والدولة شركة اجتماعية والمواطنون أعضاء مساهمون فيها كل بقدر كفاءته العلمية والخلقية وحبه للوطن وخدمته له .

وروح السياسة الحكيمة الخيرة العدل والحق والصدق والأمانة وخدمة الأمة وبناء الوطن ورعاية مصالح الناس باخلاص ونزاهة وشعور بالمسؤولية كما قال رسول الله محمد ﷺ : « كلهم راع ومسئول عن رعيته فالإمام راع وهو مسئول عن رعيته » . والإسلام يرعى مصلحة الفرد ومصلحة الجماعة ويوازن بينهما فإذا تعارضت المصلحتان فأولوية المرور والأفضلية لمصلحة الجماعة لأن سلامة المواطن من سلامة الوطن وحياة المصلحة الخاصة من حياة المصلحة العامة كما أن الفرع يستمد وجوده من الأصل والجزم من الكل والغصن من أمه الشجرة .

وهكذا نرى أنه لا تغيير ولا تبدل في جوهر الحكم وروح السياسة فالتغيير يمس دائماً المظاهر والشكل والذى تمشياً مع الزمن في تجددته وتطوره .

\* \* \*

والاسلام الخفيف يأمرنا بإعداد السلاح اللازم لردع أعداء الحياة الحرة السكرية والدفاع عن النفس وصورن الحمى وإحقاق الحق وإقامة العدل كما قال الله تعالى : « وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم » . أما نوع السلاح فإنه يتمشى مع ظروف الحياة ومنطق العصر . ولكن السلاح الروحى المعنوى الذى هو نصف المعركة والذى يزود به الاسلام جنده ويتمثل فى الايمان والعقيدة والحق وروح التضحية والفداء فباق خالد لا يتغير ولا يتبدل مع تغير الظروف والأحوال .

وهناك أمور وظواهر دنيوية مستجدة مستحدثة كحركة المرور والسير والمواصلات وإدارة الجمارك والبلديات والمطبوعات وسواها . فهذه ظواهر حياتية مستحدثة تتطلب اجتهداً واعياً مستنيراً وتنظيماً سليماً دقيقاً وسن قوانين عادلة . وهنا الدين يسقيها بالحق والعدل والاتقان والاحكام لتزكو وتثمر ثماراً طيبة وتعطى كل ذى حق حقه .

وهكذا نرى الاسلام الحنيف يضع إطاراً عاماً وقواعد صالحة وأساساً سليمة وخطوطاً عامة خالدة ونقاطاً رئيسية للنظام والقوانين والتشريعات وينفخ فيها من روحه السامية العادلة ويعرس ضميراً حياً نبيلاً. أما الخطوط الفرعية والتفصيلات والأساليب والطرق والأدوات والوسائل والصور والألوان فتخضع لمنطق العصر وتطور الحياة وتبدل الظروف والأحوال.

ومنبع الحق والعدل الإيمان بالله وتقوى الله والضمير الحى . ولا شيء يجعل الانسان طيباً خيراً مثمراً عادلاً كتقوى الله تعالى، والمبادئ الانسانية والقوانين العادلة تبقى حبراً على ورق ولا تؤتى أكلها ولا تزدهر إلا بشخصيات تنحلى بعقول مستنيرة وضمائر حية وتقوى الله .

وخلاصة القول أن الدين والعلم يتكاملان ويتعاونان فى صنع الحياة الانسانية الطيبة الكريمة وبناء الانسان الفاضل المثمر كما تتكامل الروح والجسم فى وجود الانسان المسمى . فالدين روح الحياة الانسانية وضميرها وخلقتها والعلم جسمها ومادتها .